بسم الله الرحمن الرحيم

قصص آداب الإسلام

٤

قصص آداب العمل

إعداد
ياسر علي نور

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٥٨

جميع الحقوق محفوظة

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org

مَشَقَّةُ العمَلِ

تزوَّجَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ السَّيِّدةَ فاطمةَ بنتَ رسولِ الله ﷺ، فكانتْ تطحَنُ بالرَّحَى في بيتِ زوجِهَا حتَّى تعبَتْ تعباً شديداً، فأشارَ عليها عليٌّ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنْ تذْهبَ إلى أبيهَا رسولِ الله ﷺ، وتطلُبَ منْهُ خادماً يُساعِدُهَا في أعمالِ المنزلِ. فَذَهَبتْ فاطمةُ إلى رسولِ الله ﷺ، لكنَّها استَحْيَتْ أنْ تَطلُبَ منْهُ شيئاً، ورجَعَتْ.

ثمَّ عادَتْ هِي وزوجُها عَلِيٌّ ـ رضيَ اللهُ عنهمَا ـ إلى رسولِ الله ﷺ مرَّةً أخرَى، واشتَكَيَا إليه كثرةَ العمَلِ، وشِدَّةَ التَّعَبِ، وطلَبَا منْهُ أنْ يُعطيَهُمَا خادماً.

فقالَ لهُمَا النَّبيُّ ﷺ: «ألا أخبِرُكُمَا بخيرٍ ممَّا سألتُمَاني؟». قالاَ: بَلَى، فقالَ: «كَلِماتٌ عَلَّمنيهنَّ جبريلُ عليه السلام، فقالَ: تُسبِّحانِ في دُبُرِ (بَعْدَ) كُلِّ صلاةٍ عَشْراً، وتَحْمَدانِ عَشْراً، وتُكبِّرانِ عَشْراً، وإذا أوَيتُمَا إلى فراشِكُمَا فسبِّحَا ثلاثاً وثلاثينَ، واحمَدَا ثلاثاً وثلاثينَ، وكبِّرَا أربعاً وثلاثينَ» [أحمد].

بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابِهِ فَضْلَ التَّكسُّبِ مِنْ عمَلِ اليَدِ، فقالَ: «مَنْ أمسَى كالاًّ (مُتْعَباً) مِنْ عمَلِ يَدِهِ، أمْسَى مَغْفُوراً لَهُ» [الطبرانيّ].

أدَبُ الفتاتَينِ

كَانَ هُنَاكَ شيخٌ كبيرُ السِّنِّ، ليسَ لَهُ سِوَى ابنتَينِ، وكانَ الشَّيخُ ضعيفاً لا يَقْدِرُ على العمَلِ، فكانتِ الفتاتانِ تعمَلانِ برَعْيِ أغنامِ أبيهِمَا خِلالَ ساعاتِ النَّهارِ. وقُبَيْلَ الغُروبِ تَعُودانِ وقَدِ امتَلأَتْ بُطونُ الأغنامِ بالعُشْبِ والماءِ.

وفِي يومٍ مِنَ الأَيَّامِ، عادَتِ الفتَاتانِ مِنْ رَعْيِ الغَنَمِ قبلَ مَوعِدِهمَا، فسأَلَهُمَا أبوهُمَا عنِ السَّبَبِ، فقالَتْ إحداهُمَا: بينما كنَّا نَقِفُ بأغنامِنَا عندَ البِئْرِ بعيداً عنِ النَّاسِ، نَنْتَظِرُ حتَّى ينتَهُوا مِنْ سَقْيِ أغنَامِهم، أتَى إلينَا رَجلٌ فسألَنَا عَنْ أمرِنَا، فحكَينَا لَهُ قِصَّتَنَا؛ فسقَى لنَا الأَغنامَ.

وكَانَ هذَا الرَّجلُ هو نَبيُّ اللهِ مُوسَى عليه السلام، فقَدْ رأَى أدَبَ الفتاتَينِ ووَقارَهُمَا، فأعَانَهُمَا علَى أداءِ عمَلِهِمَا، وسقَى لَهمَا الأغنَامَ.

المُسلِمةُ تَخرُجُ لِلكَسْبِ إذا احتاجَتْ إلى العَمَلِ، أَوِ احتَاجَ المُجتَمعُ إلَى تخَصُّصِهَا وكفاءَتِهَا فِي أحَدِ المَجَالاتِ.

مَهْرُ الفتَاةِ

اسْتَمَعَ أبو الفتَاتَين إلى حكايةِ مُوسَى عليه السلام الذي سَقَى الأغنَامَ لابنتَيْه، فأرسَلَ إليه واحدةً منْهُمَا تَدْعُوه ليَشْكُرَهُ علَى حُسْنِ صَنِيْعِه. فذهبَتْ إليه، وقالَتْ لَهُ: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

فاستَجَابَ نَبيُّ اللهِ موسَى عليه السلام، وحَضَرَ إليه، فأُعجِبَ الشَّيخُ به وأكرَمَهُ، ثمَّ عرَضَ عليه أنْ يتَزوَّجَ إحدَى ابنَتَيْه، علَى أنْ يَكُونَ مَهْرُهَا هُوَ رَعْيُ الأغنامِ لِمُدَّةِ ثمانيةِ أعوامٍ؛ أو عَشْرةٍ.

وافَقَ مُوسَى عليه السلام علَى الزَّواجِ مِن ابْنَةِ الشَّيخِ الصَّالحِ، وبقِيَ أَجيراً لدَيه عَشْرةَ أعوامٍ كاملةً، يَقُومُ بخِدمَةِ الأَغنامِ ورِعايَتِهَا.

وبِهَذا دفَعَ مُوسَى عليه السلام مَهْرَ ابنَةِ الشَّيخِ الصَّالحِ، وتزَوَّجَهَا، فكانَ زَواجاً مُباركاً.

المُسلمُ يكسبُ حُبَّ الله عزَّ وجلَّ بإتْقانِ عمَلِه؛ قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ يُحبُّ إذَا عَمِلَ أحدُكم عملاً أنْ يُتْقِنَهُ» [البيهقيُّ في شُعبِ الإيمانِ].

تَمْرةٌ غالِيةٌ

فِي يومٍ منْ أيَّامِ الشِّتاءِ، رجَعَ عليٌّ بنُ أبِي طالبٍ ـ رضِيَ اللهُ عنْهُ ـ إلَى بيتِهِ، وكَانَ جائعاً، لكنَّهُ لَمْ يَجِدْ طعاماً، فلبِسَ رِداءً مِنْ جلدٍ يَقِيْهِ البردَ؛ وخرَجَ يَبحَثُ عنْ عمَلٍ يتكسَّبُ منْهُ.

فمَرَّ علَى بُسْتَانِ رجلٍ يَهُودِيٍّ، فتوقَّفَ أمامَهُ، ونظَرَ مِنْ فتحَةٍ كانتْ بالسُّورِ، فوجَدَ اليَهُودِيَّ يَسْقِي زَرْعَهُ بِدَلْوٍ.

ولَمَّا رَأى الرَّجلُ اليَهُودِيُّ علِيًّا ـ رضِيَ الله عنه ـ عرَضَ علَيهِ العمَلَ معَهُ، عَلَى أنْ يُعطِيَهُ تَمْرةً مُقابِلَ كُلِّ دَلْوٍ يَملَؤُهُ مِنَ البئرِ.. فوافَقَ عليٌّ ـ رضِيَ الله عنه ـ لِمَا كانَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ.

وظَلَّ عليٌّ يعمَلُ لَدَى الرَّجلِ، وكلَّمَا ملأَ دَلْواً أعطَاهُ اليَهُودِيُّ تَمْرةً.. حتَّى جمَعَ عليٌّ عِدَّةَ تَمْراتٍ، فكَفَّ عَنِ العملِ، وأكَلَهَا وحمِدَ اللهَ تعالَى. [الترمذيّ].

أفضَلُ طَعامٍ هو ما يأكُلُه المَرءُ منْ سَعْيِهِ؛ قالَ ﷺ: «ما أكَلَ أحَدٌ طعاماً خَيراً مِنْ أنْ يأكُلَ مِنْ عمَلِ يَدِه، وإنَّ نبيَّ اللهِ داودَ كانَ يأكُلُ مِنْ عمَلِ يَدِه» [البخاريّ].

القِرْدُ والصُّرَّةُ

فِي قديمِ الزَّمانِ، كانَ هناكَ رَجلٌ يشتَغِلُ بالتِّجارةِ، ولكنَّهُ اعتادَ أنْ يَغُشَّ النَّاسَ في بَيْعِهِ وميزانِهِ.

وذَاتَ يومٍ، باعَ التَّاجِرُ بِضاعتَهُ، وركِبَ سفينَةً لِيَعودَ إلَى بلَدِهِ، وكانَ معَهُ قِردٌ يُلازِمُهُ أينمَا ذهَبَ.

وفِي السَّفينةِ، خبَّأَ التَّاجرُ صُرَّةَ المالِ، ونامَ. وعندمَا استَيقظَ، لَمْ يجدِ القِردَ.

قامَ التَّاجرُ لِيَبْحَثَ عنِ القِردِ، فرآهُ فوقَ سارِيةِ السَّفينةِ وبيَدِهِ الصُّرَّةُ.. وكَانَ القِردُ يُلقِي دِرْهماً فِي البحرِ والآخَرَ في السَّفينةِ، حتَّى فَرَغَتِ الصُّرَّةُ مِنَ الدَّراهمِ. [أحمد].

وبهذَا ألقَى القِردُ المالَ الحَرامَ فِي البحرِ، وحصَلَ التَّاجرُ علَى الثَّمنِ الحقيقِيِّ لِتجارَتِهِ، وبَقِيَ علَيهِ دَينٌ آخَرُ، يُحاسِبُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عليهِ يومَ القيامةِ، وهوَ ثمنُ الغِشِّ.

حَذَّرَ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الغِشِّ والخِداعِ فِي الكَيلِ أو فِي الميزانِ، فقالَ: «مَنْ غشَّنَا فليسَ مِنَّا، والمَكرُ والخِداعُ فِي النَّارِ» [الطبراني وابن حبان].

السَّعْيُ الطَّيِّبُ

فِي صباحِ أحَدِ الأيَّامِ، جلَسَ الصَّحابةُ مـعَ رسـولِ اللهِ ﷺ، فرَأوْا رَجلاً قوِيَّ البُنْيانِ، يُسرِعُ فِي السَّيرِ، سـاعِياً إلى عمَلِه.

فتَعَجَّبَ الصَّحابةُ مِنْ قوَّةِ ذلكَ الرَّجُلِ ونشَاطِه، وقـالُوا: يا رسولَ اللهِ؛ لو كانَ هذا فِي سبيلِ اللهِ (أي: لو أنَّهُ يسـتَخدِمُ قوَّتَهُ فِي الحرْبِ والجِهادِ في سبيل اللهِ لَكَانَ خَيراً لَهُ).

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ مُوَضِّحاً لَهُم أنواعَ العمَلِ الطَّيِّـبِ: «إنْ كانَ خرَجَ يَسْعَى علَى ولَدِه صِغَاراً؛ فهوَ فِي سـبيلِ اللهِ. وإنْ كانَ خرَجَ يَسْعَى علَى أبـوَينِ شـيخَينِ كـبيرَينِ فهـو فِي سبيلِ اللهِ، وإنْ خرَجَ يسْعَى على نَفسِه يَعِفُّهَا (أي مِنْ سُؤالِ النَّاس)؛ فَهُوَ فِي سبيلِ اللهِ، وإنْ كانَ خرَجَ رِياءً ومُفَـاخَرَةً؛ فهُوَ فِي سبيلِ الشَّيطانِ) [الطبراني].

اللهُ يُجازِي عِبادَهُ علَى أعمالِهم بقَدْرِ حُسْنِ نيَّاتِهم؛ قالَ ﷺ: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ ما نَوَى» [متفقٌ عليه].

رِزقُ اللهِ

ذاتَ يَومٍ، صَلَّى النَّبيُّ ﷺ صلاةَ الفَجْرِ معَ أصحابِهِ فِي المَسجِدِ.

وبعدَمَا فرَغَ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الصَّلاةِ تَوَجَّهَ إلى بيتِ ابنتِهِ السَّيِّدة فاطمةَ ـ رضيَ الله عنها ـ فوجَدَهَا ما زالَتْ نائمةً، وقَدْ طَلَعَ الصُّبحُ، فأيْقَظَهَا وأخبرَهَا بفَضلِ ساعاتِ البُكُورِ، وما فِيهَا مِنْ خيرٍ وبركةٍ، فقالَ: «يا بُنَيَّةُ؛ قُومِي اشْهَدِي رِزقَ ربِّكِ، ولاَ تَكُونِي مِنَ الغافلِينَ، فإنَّ اللهَ يُقَسِّمُ أرزَاقَ النَّاسِ ما بينَ طُلُوعِ الفَجرِ إلى طُلُوعِ الشَّمسِ» [البيهقي].

ومِنْ ذلكَ يتَعلَّمُ المُسلمُ الدَّرْسَ، فيُسارِعُ إلى قضاءِ أعمالِهِ فِي البُكورِ، ليَحْظَى بهَذَا الخَيرِ الوَفيرِ، معَ مَا يَكُونُ لدَيهِ مِنَ النَّشاطِ وراحةِ البَدنِ فِي الصبَّاحِ.

التَّبكيرُ فِي السَّعْيِ إلى العَملِ فيهِ خَيرٌ كثيرٌ؛ قالَ ﷺ: «باكِرُوا الغُدُوَّ فِي طلَبِ الرِّزْقِ، فإنَّ الغُدُوَّ بركةٌ ونجاحٌ» [البزار].

الطَّريقُ إلى السُّوقِ

فِي المدينةِ المنَوَّرةِ، آخَى النَّبيُّ ﷺ بينَ المُهاجرينَ والأنصارِ، فكانَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ مِنَ المُهاجِرينَ أخاً لسَعْدِ بنِ الرَّبيعِ مِنَ الأنصارِ.

عرَضَ سَعْدٌ علَى عبدِ الرَّحمنِ أنْ يُعطِيَهُ نصفَ ما يَمْلِكُ، فرفَضَ عبدُ الرَّحمنِ أنْ يأخُذَ شيئاً، وفَضَّلَ أنْ يتَكَسَّبَ مِنْ عمَلِ يَدِه، وقالَ لسَعدٍ: بارَكَ اللهُ لكَ فِي أهلِكَ ومالِكَ. وطلَبَ منْهُ أنْ يَدُلَّهُ علَى السُّوقِ، فدَلَّهُ علَى مكانِه.

ذهَبَ عبدُ الرَّحمنِ إلى السُّوقِ، وعمِلَ بالتِّجارةِ، فاشتَرَى وباعَ، حتَّى ربِحَ بعضَ الأَموالِ، فاشتَرَى لنَفسِهِ ما يَحتاجُ إليهِ مِنَ الطَّعامِ.

وظلَّ عبدُ الرحمنِ ــ رضيَ الله عنه ـ يعملُ فترةً مِنَ الزمنِ، حتَّى تَكوَّنَ لديهِ مالٌ كثيرٌ، واستَطاعَ أنْ يتزوَّجَ، ويقَدِّمَ مَهْراً لزَوجَتِهِ مِقدارُهُ وزنُ نواةٍ مِنْ ذَهبٍ. [ابن سعد].

دُعاءُ دُخولِ الأَسواقِ هوَ: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ. له المُلكُ ولَهُ الحَمدُ، يُحْيِي ويُمِيتُ وهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيرُ وهوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ» [الترمذي].

صاحِبُ القَدُومِ

ذَاتَ يومٍ، طلَبَ أحَدُ الفُقَراءِ صدَقةً مِنَ الـنَّبيِّ ﷺ، فَلَـمْ يُعْطِهِ، وسَأَلَهُ عمَّا يَملِـكُ، فـأخبَرَهُ أنَّـهُ يَملِـكُ رِداءً وقـدَحاً، فأمَرَهُ ﷺ بإحضارِهِمَا.

ثُمَّ باعَهُمَا النَّبيُّ ﷺ بدرهمَينِ، وأعطَاهُمَا السَّائلَ، وأمَـرَهُ أنْ يشتَرِيَ بأحَدِهمَا طعاماً لأَهْلِهِ، ويَشتَرِيَ بالآخَرِ قَدُّوماً..

فعَلَ الرَّجلُ ما أمَرَهُ بِهِ النَّبيُّ ﷺ، وعادَ بالقَـدُّومِ، فجهَّـزَهُ لهُ النَّبيُّ ﷺ، وقالَ لَـهُ: «اذْهَـبْ فاحتَطِـبْ، ولا أراكَ خمسـةَ عَشَرَ يوماً». كسبَ الرَّجلُ مِنْ عمَلِهِ خـلالَ هـذهِ الفتـرةِ عشْـرَةَ دراهمَ. فلَمَّا جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ، قالَ لَهُ: «اشْتَرِ ببعضِهَا طعاماً، وبِبَعضِهَا ثَوباً».

ثُمَّ وضَّحَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ هذَا العَملَ أفضَلُ مِنْ سُؤالِ النَّاسِ والتَّسوُّلِ، فقالَ ﷺ: «هذَا خَيرٌ مِنْ أنْ تَجِـيءَ المَسـألةُ (التَّسـوُّلُ والشِّحَاذَةُ) نُكْتَةً (علامَةً) فِي وجْهِكَ يومَ القيامةِ» [ابن ماجه].

قالَ ﷺ: «لأَنْ يأخُذَ أحَدُكم حَبْلَهُ فيذْهَبَ بِهِ إلى الجبَلِ، فيَحْتَطِـبَ، ثُـمَّ يأتِيَ بِهِ فيَحمِلَهُ علَى ظَهْرِهِ، فيأكُلَ.. خَيرٌ لَهُ مِنْ أنْ يسأَلَ النَّاسَ» [أحمد].

الخادِمُ حُرٌّ

ذاتَ يَومٍ، كانَ النَّبيُّ ﷺ يَمشِي فِي أحَدِ شوارِعِ المدينةِ، فرَأى أبَا مسعودٍ البَدْرِيَّ رضي الله عنه يَضرِبُ خادِمَهُ بالسَّوطِ ضَرباً شديداً، فأتَاهُ النَّبيُّ ﷺ مِنْ خلْفِهِ ونَادَاه: «اعلَمْ أبا مسعودٍ!!». لكِنَّ أبَا مسعودٍ لَمْ يَعرِفِ الصَّوتَ مِنْ شِدَّةِ غضَبِهِ.

ولَمَّا اقترَبَ منْهُ النَّبيُّ ﷺ عرَفَهُ أبُو مسعودٍ، فقالَ ﷺ: «اِعلَمْ أبَا مَسعودٍ أنَّ اللهَ أقْدَرُ عليكَ؛ مِنْكَ علَى هَذَا الغُلامِ».

ومَا إنْ سَمِعَ أبُو مسعودٍ رضي الله عنه كلامَ الرَّسولِ ﷺ حتَّى ارتَجَفَ، وسقَطَ السَّوطُ مِنْ يَدِهِ، وقالَ دُونَ تَرَدُّدٍ: لا أضرِبُ مَملوكاً بَعْدَهُ أبداً.

ثُمَّ قالَ: يا رسولَ اللهِ! هُوَ حُرٌّ لوجْهِ اللهِ تعالَى.

فقالَ ﷺ: «أما لَوْ لَمْ تفعَلْ للَفَحَتْكَ النَّارُ؛ أو لَمَسَّتْكَ النَّارُ» [مسلم].

أرشَدَ النَّبيُّ ﷺ إلى حُسْنِ معاملةِ الخَدَمِ، فقالَ: «.. مَنْ كانَ أخُوهُ تحتَ يَدِهِ، فلْيُطْعِمْهُ ممَّا يأكُلُ، ولْيُلْبِسْهُ ممّا يلبَسُ، ولاَ تُكَلّفوهُم ما يَغلِبُهُم، فإنْ كلَّفتُموهُم فأعِينُوهُم عليهِ» [مسلم].

الفَهمُ الخَاطِئُ

ذهَبَ أحَدُ الصَّالحينَ إلى إحدَى الجهَات؛ لأَداءِ مُهِمَّـةٍ لَـهُ، فَلَمْ يَجِدِ المُوظّفَ المُختَصَّ، فسـألَ عَنْـهُ، فقِيـلَ لَـهُ: إنَّـهُ يَسـتَعِدُّ لِصَلاةِ الظُّهرِ.

وكانَ ما يزَال علَى وقتِ أذانِ الظُّهرِ أكثَرَ مِنْ ساعةٍ كاملةٍ.

فسألَ الرَّجلُ عنْ مكانِ المُوظَّفِ، فدلُّوه علَيه، فطَلَبَ مِنْهُ أنْ يُؤَدِّيَ لَهُ مُهِمَّتَـه. فقـالَ المُوظَّـفُ فِـي غَـيظٍ: ألاَ تعلَـمُ أنَّ الصَّـلاةَ فَرِيضةٌ علَى كُلِّ مُسلِمٍ؟

فقالَ الرَّجلُ: وعَمَلُكَ ـ أيضاً ـ فَرِيضةٌ.

قالَ المُوظَّفُ: وكيفَ ذلكَ؟ قالَ الرَّجلُ: لأنَّ هنـاكَ اتِّفاقـاً تَـمَّ بينَكَ وبينَ هذه المُؤَسَّسة، يَقْضِي بأنْ تعمَلَ لديهَا مُقابِلَ أَجْرٍ مُحَدَّدٍ، فليسَ لَكَ أنْ تُعَطِّلَ مَصَالِحَ النَّاسِ، أمَّا الصَّلاةُ فلَمْ يَحِنْ وقتُهَا بعدُ.

فأدرَكَ المُوظَّفُ خطَأَهُ، واعتَذَرَ لِلرَّجُلِ، ووَعَدَهُ ألاَّ يَعُودَ إلَى التَّقصيرِ فِي عملِهِ مرَّةً أُخرَى.

حرَصَ الصَّحابةُ علَى مَعرفةِ الحَلالِ والحَـرامِ؛ قـالَ عُمَـرُ بـنُ الخَطَّـابِ رضي الله عنه: لا يَبِيعُ فِي سُوقِنَا هذا إلاَّ مَنْ تفَقَّه فِي الدِّينِ. [الترمذي].

سَدٌّ بينَ جبلَينِ

كَانَ ذُو القَرْنَينِ مَلِكاً عادِلاً، آتَاهُ اللهُ مُلْكاً كبيراً.

وفِي أحَدِ الأيَّامِ خرَجَ يتجوَّلُ فِي مَمْلَكتِه، ويَطمَئِنُّ علَى أحوَالِ رعيَّتِه، فمَرَّ بقَومٍ يَسكُنُونَ خَلْفَ جبَلَينِ، فلَمَّا رأَوا ذَا القَرْنَينِ، طلَبُوا منْهُ أنْ يَبنِيَ سَدًّا بينَهم وبينَ قَبيلَتَيْ يأْجُوجَ ومَأْجوجَ؛ لأَنَّ أهْلَهُمَا يُفسِدونَ فِي الأَرضِ. وعرَضُوا علَيه أجْراً، فلَمْ يأْخُذْهُ.

ثُمَّ أمَرَهُم ذُو القَرْنَينِ أنْ يُساعِدُوه، ويُعِينُوهُ بِقوَّتِهِمْ، وبيَّنَ لَهم أنّ العمَلَ يحتاجُ إلى كثيرٍ مِنَ التَّعبِ والمشَقَّة، فجَمَعُوا الحَديدَ، وأَوْقَدُوا عليه النِّيرانَ، وصَبُّوا عليه النُّحَاسَ المُذَابَ.. وظَلُّوا يعمَلونَ بِجِدٍّ ونَشاطٍ حتَّى فرَغُوا مِنَ العمَلِ، وتَمَّ البِناءُ الَّذِي طَلَبُوهُ.

وحِينَئذٍ لَمْ يَنْسُبْ ذُو القَرْنَينِ الفَضلَ إلى نَفسِه، وإنَّمَا قالَ: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨].

أرشَدَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المُدَاوَمةِ علَى الأَعمالِ الصَّالحة، وإنْ كانَتْ قليلةً، فقالَ ﷺ: «أحَبُّ الأَعمالِ أدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ» [البخاري].

صاحِبُ الحَديقَةِ

حكَى النَّبيُّ ﷺ لأَصحابِه أنَّ رَجلاً كانَ يَسيرُ في الصَّحراءِ، فسَمِعَ صَوتاً في سَحابَةٍ يَقُولُ: اسْقِ حَديقةَ فُلانٍ.

فاتَّجَهَتِ السَّحابَةُ إلَى تلكَ الحَديقةِ، فأفْرَغَتْ ماءَهَا كُلَّهُ في مَجْرَى سَيلٍ، فتَتَبَّعَ الرَّجلُ الماءَ، فإذا رَجلٌ يَعمَلُ في حَديقَتِه؛ يُحوِّلُ الماءَ، ويَسْقِي الزَّرْعَ، فسَأَلَهُ عنِ اسمِه.

قالَ: فُلانٌ (وهو نفسُ الاسمِ الذي سَمِعَهُ في السَّحابَةِ).

وسأَلَ صاحِبُ الحَديقَةِ الرَّجلَ عَنْ سَبَبِ سُؤالِه، فحَكَى لَهُ ما حَدَثَ، فقالَ الرَّجلُ: فمَا تَصنَعُ فِيهَا؟

فَأخبَرَهُ صاحِبُ الحَديقةِ أنَّهُ يَتَصدَّقُ بِثُلُثِ ثمارِهَا، ويَأكُلُ هُوَ وعِيالُهُ ثُلُثاً، ويُنْفِقُ علَى الحَديقةِ ويَعْتَنِي بِهَا بالثُّلُثِ البَاقِي. [مسلم].

قالَ الشَّاعرُ:

بقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي ... ومَنْ طلَبَ العُلاَ سَهِرَ اللَّيالِي

ومَنْ طلَبَ العُلاَ في غَيرِ كَدٍّ ... أَضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ

أجرُ العامِلِ

فِي قَديمِ الزَّمَانِ، استَأْجَرَ رَجلٌ عُمَّالاً، لِيُعاوِنُوهُ.

وعندمَا انتَهَى العُمَّالُ مِنَ أداءِ عَمَلِهِم، أخَذُوا أُجُورَهم إلاَّ واحِداً؛ تركَ أجْرَهُ وانصرَفَ.

فاستَثْمَرَ صاحِبُ العمَلِ أَجْرَ هَـذَا العامِـلِ حتَّـى صـارَ لَـهُ قطِيعٌ مِنَ الغنَمِ والبَقرِ.

وبعدَ حينٍ، عادَ صاحِبُ الأَجْرِ وطلَبَ أَجْـرَهُ، فأشـارَ إليـهِ الرَّجلُ أنْ يَأخُذَ القَطِيعَ كُلَّهُ، فظَنَّ الأَجيرُ أنَّ الرَّجُلَ يَسخَرُ منْـهُ، فَحكَى لَهُ ما حَدَثَ، فَأخَذَ الأَجيرُ كُلَّ ذلكَ وانصرَفَ شاكِراً.

وبهَذَا العمَلِ الطَّيِّبِ، نَجَّى اللهُ الرَّجُلَ مِنَ الهَلاَكِ؛ فقَدْ كانَ يَسيرُ معَ اثنَينِ مِنْ رِفاقِهِ، فدَخَلُوا غاراً لِلرَّاحةِ، فانحَدَرَتْ صَخرةٌ، فسَدَّتْ بابَ الغارِ، فدَعَا كُلٌّ مِنَ الرَّجُلَينِ بعَملٍ صالِحٍ، ثُمَّ دَعا الرَّجلُ بعَمَلِهِ هَذَا، فأزَاحَ اللهُ الصَّخْرةَ، وخَرَجُوا مِنَ الغَارِ، بفَضْلِ أَعمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ. [البخاري].

يَجبُ على المُسلِمِ إذا استَأجَرَ عُمَّالاً أنْ يُوَفِّيَهم أجُورَهم بعـدَ الانتـهاءِ مِنْ أعمالِهِم مُباشَرةً؛ قـالَ ﷺ: «أَعطُـوا الأَجـيرَ حَقَّـهُ قبـلَ أنْ يَجُـفَّ عَرَقُهُ» [ابنُ ماجه].

قِصصُ آدابِ العَملِ

العَملُ الصَّالحُ والكَسْبُ الطَّيِّبُ عِبادَةٌ يُجازِي اللهُ عزَّ وجلَّ عليهَا بالأَجرِ الكبيرِ والثَّوابِ الجَزيلِ.

وقدْ أمَرَ اللهُ ـ سبحانَه ـ المُؤمنينَ بالسَّعْيِ في الأرضِ وتَعميرِ الكَونِ بجَهْدِهم الطَّيِّبِ، وإنجازاتِهم الكثيرةِ؛ قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

والمُسلمُ حينمَا يَستَجيبُ لنداءِ اللهِ، فيَعمَلُ ويكسَبُ خَيراً بيَدَيْهِ، فإنَّهُ يَشعُرُ بلَذَّةِ الطَّاعةِ وثوابِ العبادةِ، كمَا يُحَقِّقُ لنَفْسِهِ ولأهْلِهِ سَعَةً ورِزقاً رَغَداً.

لكنَّ الإنسانَ إذا ركَنَ إلى الكسَلِ والخُمولِ، فإنَّهُ لَنْ يُحَصِّلَ كَسْباً، ولَنْ يَجْنِيَ ثمرةً، إنَّما عليه أنْ يَصبرَ علَى كَدِّ العمَلِ، ومَشقَّةِ السَّعْيِ؛ حتَّى يَبلُغَ غايَتَهُ، وإذا كانَ الإنسانُ يَشعُرُ بالتَّعبِ والإعياءِ مِنْ عَنَاءِ العمَلِ، فإنَّ النَّجاحَ الَّذي يُكَلِّلُ هَذَا السَّعْيَ يُهَوِّنُ كُلَّ مشَقَّةٍ.

وللعمَلِ آدابٌ كثيرةٌ، منْهَا: اختيارُ المِهْنةِ الطَّيِّبَةِ، وإتْقانُ العمَلِ، وأَداؤُهُ علَى أكمَلِ وَجهٍ، وإعانَةُ الأَجيرِ والخادِمِ، وإعطاؤُهمَا حقَّهُمَا، وغيرُ ذَلكَ.

* * * * *